مبادئ علوم القرآن الكريم

أ.د. عبد البديع أبو هاشم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بجامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعده،،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فإن أشرف صناعة يشتغل بها المرء هي العلم، حيث جاء في فضله ما يحمل الإنسان عليه حملاً، ويأخذه إليه أخذًا، ومن ذلك قول ربنا العليم -سبحانه-: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [المجادلة: ١١]، وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾ [فاطر: ٢٨]، وأمره بالازدياد منه بالدعاء: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [طه: ١١٤]، ومن السنة ما ورد في الصحيحين من حديث معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِينِ...**»[1].

(١) صحيح الإمام البخاري/ ك: العلم، ب: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وصحيح الإمام مسلم، ك: الإمارة، ب: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق.

ففز بعلم تعش حيًا به أبدًا * الناس موتى وأهل العلم أحياء**

وقيل: إن لقمان أوصى ولده فقال: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله -سبحانه- يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء[1].

فلهذا الفضل العظيم المشار إليه بهذه الإشارات أردت أن أتشرف بالتعريف بالعلوم من خلال سلسلة «مبادئ العلوم» وذلك بإبراز مبادئها التي من شأنها أن تكوّن لدى القارئ جملة مفيدة عن العلم الذي يعمد إلى دراسته، قد تكفيه -ولو مؤقتًا- عن الخوض في تفاصيل هذا العلم، وتعطيه عن كل علم علمًا، وعن كل معرفةٍ معرفةً.

وهذه المبادئ جمعها بعض العلماء في قوله:

إن مبادئ كل فن عشرة * الحد والموضوع ثم الثمرة**

وفضله ونسبته والواضع * والاسم الاستمداد حكم الشارع**

مسائله والبعض بالبعض اكتفى * ومن درى الجميع حاز الشرف**

والمقصود بالحد: هو التعريف الجامع المانع.

والموضوع: هو المجال الذي يبحث فيه العلم.

والثمرة: هي الفائدة التي يحصلها دارس العلم ومتعلمه.

والفضل: هو شرف العلم بين العلوم.

والنسبة: هي صلة العلم بباقي العلوم.

والواضع: هو من وضع أساس العلم وأرسى قواعده، ومتى كان ذلك، والأطوار التي مر بها وضع العلم.

والاسم: المصطلح الذي صار علَمًا على العلم.

الاستمداد: يعني الروافد التي يستقي منها العلم مسائله ومطالبه.

---

(١) إحياء علوم الدين، ك: العلم، ب: في فضل العلم (١/ ١٢).

حكم الشارع: يعني حكم تعلم العلم بين الأحكام الخمسة: الحرمة، والوجوب، والكراهة، والندب، والإباحة.

مسائله: هي المطالب التي يحققها ويقررها العلم.

وأول حلقة في هذه السلسلة «مبادئ العلوم» هي حلقة «علوم القرآن»، وأول علم نبرز مبادئه هو علم «علوم القرآن».

وما ذلك إلا لأنها أشرف العلم قاطبة -على تفصيل يأتي في موضعه إن شاء الله- كما في قول القائل[1]:

إن العلـــوم وإن جلـــت محاســـنها ** فتاجهـا مـا بـه الإيـمان قـد وجبـا

هـــو الكتـــاب العزيـــز الله يحفظـــه ** وبعـــد ذلـــك علـــم فـــرّج الكربـــا

فذاك فاعلم حديث المـصطفى فبـه ** نـــور النبـــوة ســـنّ الـــشرع والأدبـــا

وبعـــد هـــذا علـــوم لا انتهـــاء لهـــا ** فـــاختر لنفـــسك يـــا مـــن آثـــر الطلبـــا

والعلـــم كنـــز تجـــده في معادنـــه ** يا أيها الطالب ابحـث وانظـر الكتبـا

اتْـــلُ بفهـــمٍ كتـــاب الله فيـــه أتـــت ** كـــل العلـــوم تـــدبره تـــر العجبـــا

واقرأ هُديت حديث المصطفى وسـل ** مولاك ما تـشتهي يقـضي لـك الأربـا

من ذاق طعـمًا لعلـم الـدين سُرَّ بـه ** إذا تزيّـــد منـــه قـــال واطربـــا

وأتقدم بهذه السلسلة -باركها الله تعالى- إلى المحبين للعلم، والراغبين في المعرفة، ليعرفوا معرفة عن كل معرفة، وليتعلموا علمًا عن كل علم، معتذرًا عن عجزي وعن تقصيري، وشاكرًا لله ما أنعم عليَّ به من توفيق.

---

(١) مقدمة تفسير القرطبي (١/ ٣٥).

وأسأله -سبحانه- أن يجعل هذا العلم خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لكل طالب علم مستقيم، وأن يكرمنا بالنظر إلى وجهه العظيم.

اللهم آمين

د. عبد البديع أبو هاشم

زهراء عين شمس - القاهرة

رجب: ١٤١٤هـ/ ديسمبر ١٩٩٣م

مبادئ علوم القرآن

إن مبـــادئ كـــل فـــن عـــشرة *** الحـــد والموضـــوع ثـــم الثمـــرة
وفـــضله ونـــسبته والواضـــع *** والاسم الاستمداد حكـم الـشارع
مسائله والبعض بـالبعض اكتفـى *** ومـن درى الجميـع حـاز الـشرف

المبدأ الأول: الحد:

والحد: هو قول دال على ماهية الشيء[1].

والمراد به هنا: هو تعريف علم «علوم القرآن».

وعلوم القرآن: مصطلح مركب من جزئين: علوم، وقرآن.

أما العلوم: فجمع علم، وهو في اللغة: نقيض الجهل. مصدر يرادف الفهم والمعرفة.

وفي الاصطلاح: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع. وقيل غيره[2].

وعند علماء التدوين: هو المسائل المضبوطة بجهة واحدة موضوعية كانت أو غائية[3].

وأما القرآن، ففي اللغة: مصدر قرأ، مرادف للقراءة، تقول: قرأت الكتاب قراءة، أو قرأت الكتاب قرآنًا، وورد ذلك في القرآن في قول الله -تعالى-: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧] أي: قراءته.

---

(١) السيد الشريف علي بن محمد أبو الحسين الحسيني الجرجاني الحنفي (٧٤٠-٨١٦هـ). التعريفات (ص٧٣)، ط/ الحلبي.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني. مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٢، ١٣)، ط/ فيصل الحلبي بتصرف.

وقال الراغب الأصفهاني: «والقرآن في الأصل مصدر...، وقد خص بالكتاب المنزل على محمد ﷺ»[(١)].

والقرآن عند علماء الشريعة يطلق ويراد به: «كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ المعجز بسورة منه، المتعبد بتلاوته، المثبت في المصحف من أول سورة الفاتحة حتى سورة الناس، المنقول إلينا نقلاً متواترًا»[(٢)].

ومن هذا يأتلف لنا تعريف نعتبره حدًا لعلوم القرآن.

وهو أنها: المسائل العلمية المضبوطة المتعلقة بالقرآن الكريم تعلقًا موضوعيًا وغائيًا.

ويقول الشيخ الزرقاني -رحمه الله-: هي: «مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ودفع الشُّبه عنه، ... ونحو ذلك»[(٣)].

فهذه وغيرها مسائل علمية تتعلق بالقرآن الكريم تعلقًا موضوعيًا حيث إن موضوعها جميعًا هو القرآن الكريم، فهو مجال بحثها، ومادة صناعتها.

كما أنها تتعلق بالقرآن الكريم تعلقًا غائيًا، بمعنى أن علوم القرآن تهدف إلى إبراز هدايات القرآن الحكيم، وإثبات إعجازه للعالمين، بما يحمل الناس على الجادة، ويسوسهم إلى رضوان الله تعالى.

---

(١) أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفاني (ت ٥٠٢هـ). المفردات في غريب القرآن، تحقيق/ محمد سيد كيلاني (ص٤٠٢)، ط/ مصطفى الحلبي.

(٢) راجع: د/ عبد الكريم زيدان في الوجيز في أصول الفقه، (ص١٥٢)، ط/ مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.

(٣) مناهل الفرقان (١/ ٢٧).

المبدأ الثاني: موضوع علوم القرآن:

المراد بذلك هو بيان المجال الذي يبحث فيه هذا العلم «علوم القرآن»، وهو القرآن الكريم ذاته من حيث نزوله وبيان زمان ومكان وملابسات النزول، وجمعه كيف كان والمراحل التي مر بها، والقائمون به في كل مرحلة، وترتيبه في سوره وآياته وهل هو توقيفي من الله -تعالى- أو اجتهادي من الخلق، ورسمه وما يتعلق به من أحكام وما لحقه من تطورات، وقراءته وبيان أئمة القراءة، والقواعد التي لا يقرأ القرآن إلا بها، والوجوه التي يقرأ عليها، وتفسيره أفضله وفاضله والمقبول منه والمردود، وما ينبغي توافره في المفسر، وإعجازه بلفظه وتركيبه ونسقه، وتصويراته ومعانيه وأحكامه، وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه التي يثيرها حوله أعداؤه وخصومه الألدّاء ... إلى غير ذلك.

المبدأ الثالث: ثمرة العلم بعلوم القرآن

إن من يشتغل بهذا العلم ويتمرس فيه ليجني ثمارًا يانعة طيبة -ومن ذاق عرف- من ثمار الثمار ما يلي:

١ - العلم بملابسات نزول القرآن الكريم:

فيتعرف طالب هذا العلم على مكان نزول القرآن وزمانه والظروف والأحوال التي وافقت نزوله، وكيف استقبلت الأمة هذا النازل الكريم بمنتهى العناية وغاية الاهتمام حتى قال سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ : «والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، ولو أعلم أن أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[1].

(١) الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، الصحيح الجامع، ك/ فضائل القرآن، ب/ القراءة من أصحاب النبي ﷺ ، والإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، الصحيح، ك/ فضائل الصحابة، ب/ من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه.

٢- الإعانة على فهم القرآن الكريم:

إن المعرفة بعلوم القرآن تعين على فهم القرآن الكريم، والوقوف على أسراره وأغراضه وإلا فمن جهل أبحاث هذا الفن عزّت عليه معرفة القرآن، وصعب عليه فهمه، وكثر فيه غلطه، ومن ذلك ما وقع من قدامة بن مظعون الجمحي[(١)] ﷺ من الخطأ في فهم قول الله -تعالى-: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٩٣] على ما رواه الدارقطني من حديث ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-: «أن الشُّراب -يعني شراب الخمر- كانوا يضربون في عهد رسول الله ﷺ بالأيدي والنِّعال والعِصيّ حتى تُوفي رسول الله ﷺ فكانوا في خلافة أبي بكر أكثر منهم في عهد رسول الله ﷺ فكان أبو بكر يجلدهم أربعين حتى تُوفي، ثم كان عمر من بعده يجلدهم كذلك أربعين حتى أتى برجل من المهاجرين الأولين وقد شرب فأمر به أن يجلد.

فقال: لِمَ تجلدني؟ بيني وبينك كتاب الله، فقال عمر: وفي أيّ كتاب الله تجد ألا أجلدك؟ فقال له: إن الله -تعالى- يقول في كتابه: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ الآية، فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، شهدت مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها.

فقال عمر: ألا تردون عليه ما يقول؟ فقال ابن عباس: إن هؤلاء الآيات أنزلن عذرًا لمن غبر وحجة على الناس؛ لأن الله -تعالى- يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ

---

(١) هو الصحابي الجليل قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مظعون الجحمي، المدني. وهو ممن هاجر إلى أرض الحبشة مع أخويه عثمان وعبد الله، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا، وكان ختن عمر بن الخطاب، خال عبد الله وحفصة، وولاَّه عمر بن الخطاب، على البحرين، ثم عزله بشهادة الجارود -سيد عبد القيس- عليه بشرب الخمر. تقريب التهذيب، وتفسير الإمام القرطبي (٤/ ٢٢٩٤) بتصرف.

ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

فإن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. الآية... فإن الله قد نهاه أن يشرب الخمر، فقال عمر: صدقت، ماذا ترون؟ فقال عليّ ﷺ : إنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هَذَى، وإذا هذى افترى، وعلى المفتري ثمانون جلدة، فأمر به عمر فجلد ثمانين جلدةً»[1].

وذكره الحميدي عن أبي بكر البرقاني عن ابن عباس، وسمى الرجل بقدامة بن مظعون الجمحيّ.

كما حكى القرطبي عن الكيا الطبري عن عليّ بن أبي طالب ﷺ أن قومًا شربوا بالشام وقالوا: هي لنا حلال وتأولوا هذه الآية، فأجمع عليّ وعمر على أن يستتابوا، فغن تابوا وإلا قتلوا.

ووقع هذا الخطأ لبعض أهل زماننا، بل يبدو أنه كان عمدًا ليضل الناس بغير علم فراحوا يطنطنون -بجهل وحماقة- حول هذه الآية ليستبيحوا شرب الخمر لمن آمن وعمل الصالحات أو لعله أراد إثارة غبار الفتنة حول القرآن الكريم.. فتبًا له، وهذا كله من قلة الفقه بعلوم القرآن.

٣- التزود والتحصن بعلوم القرآن:

التحصل على هذه العلوم القرآنية يمكن من عرض الإسلام عرضًا صحيحًا مما يبعث الثقة في قلوب المعرضين، فيقبلوا على القرآن والإسلام، كما يمكن من التحصن ضد وخزات الأعداء.

قال الشيخ الزرقاني: «وفائدة هذا العلم ترجع إلى الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم، وإلى التسلح بالمعارف القيّمة فيه، استعدادًا لحسن الدفاع عن حمى الكتاب العزيز، ثم إلى سهولة خوض غمار تفسير القرآن الكريم به كمفتاح للمفسرين»[2].

---

(١) سنن الدارقطني (٢/ ١٦٦)، ك/ الحدود، حديث رقم (٢٤٥)، وذكرها الإمام القرطبي في تفسيره (٤/ ٢٢٩٤).

(٢) المناهل (١/ ٢٧، ٢٨).

ومن ذلك ما قصد اليهود به إحراج عمر بن الخطاب ﷺ فقالوا له[1]: إنكم تقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا، فقال عمر -بثبات العالم، ويقين المؤمن-: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت: يوم عرفة، وإنا والله يومئذ بعرفة، يوم جمعة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

يعني: إني أعلمها ولقد اتخذناها عيدين، عيدًا يوم عرفة من كل عام، وعيدًا يوم الجمعة من كل أسبوع.

المبدأ الرابع: فضل علوم القرآن وشرفها

إن علوم القرآن هي خير ما يشتغل به من العلوم، فهي الحكمة التي يقسمها الله بين الخلق حسب مشيئته -سبحانه- كما قال: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- يعني: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمة ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله[2].

بين هذا الفضل والشرف الإمام الأصبهاني فيما نقله عنه الإمام السيوطي -رحمهما الله تعالى- قال: «أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن، بيان ذلك: أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها مثل الصياغة، فإنها أشرف من الدباغة؛ لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة الذي هو جلد الميتة.

وإما بشرف غرضها مثل صناعة الطب، فإنها أشرف من صناعة الكناسة؛ لأن غرض الطب إفادة الصحة، وغرض الكناسة تنظيف المستراح.

---

(١) صحيح البخاري، ك/ الإيمان، ب: زيادة الإيمان ونقصانه، ومسلم، فاتحة كتاب التفسير، والترمذي في سننه، ك/ التفسير، سورة المائدة.

(٢) صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في القرآن الكريم، (ص١١٩)، مسألة رقم (١٣٥)، بتحقيق/ راشد عبد المنعم الرجّال، ط/ أولى، مكتبة السنة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، مع الحاشية (٤).

وإما بشدة الحاجة إليها كالفقه، فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب، إذ ما من واقعة في الكون في أحد من الخلق إلا وهي مفتقرة إلى الفقه؛ لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين، بخلاف الطب، فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات.

إذا عرف ذلك: فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث: أما من جهة الموضوع: فلأن موضوعه كلام الله -تعالى- الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يَخْلَقَ على كثرة الرّدّ، ولا تنقضي عجائبه.

وأما من جهة الغرض، فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقة التي لا تفنى.

وأما من جهة شدة الحاجة، فلأن كل كمال ديني أو دنيوي، عاجلي أو آجلي، مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى»[1].

أقول: وعلوم القرآن كلها كذلك؛ لأن موضوعها جميعًا هو القرآن الكريم، وغرضها تحقيق السعادة الأبدية للعباد، بهدايتهم إلى الاعتصام بالقرآن ومشاهدتهم لإعجازه، كما أن توقف بلوغ أي كمال دنيوي أو ديني على العلوم الشرعية المتوقفة على العلم بكتاب الله يجعلنا نقول: إن العلم بكتاب الله -تعالى- متوقف على معرفة هذه الدراسات القرآنية التي عرفت في مجملها بعلوم القرآن.

لذا فإن علوم القرآن قد حظيت بالشرف من الجهات الثلاثة: الموضوع والغاية وشدة الحاجة إليها، فهي أشرف صناعة يشتغل بها الإنسان، ويفني فيها عمره.

---

(١) الإمام جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن (٢/ ١١٩٥).

المبدأ الخامس: نسبة علوم القرآن إلى العلوم الأخرى

إن نسبة أي علم إلى غيره من العلوم تتردد بين أربع نسب هي:

١- **الترادف**: وهو أن يكون الحال كالاسمين لمسمى واحد، فيكون هو هو.

٢- **التداخل**: كأن يكون أحد العلمين عامًا والآخر خاصًا، فأحدهما داخل في الآخر.

٣- **التقاطع**: وهو العموم والخصوص النسبي، وذلك بأن يكون كل من العلمين أعم من غيره من جهة واخص من جهة أخرى.

٤- **التباين**: وهو عدم تصادق العلمين على شيء، بحيث لو نسب أحدهما للآخر لم يصدق على شيء مما صدق عليه الآخر.

وعلى ما سبق يمكن القول بأن نسبة علوم القرآن إلى سائر العلوم هي التباين، فهو فن مستقل بذاته، يقوم بنفسه، لا يتوقف على غيره، ولا يغني عنه غيره، له أصوله وفروعه، وله أئمته وطلابه، وله كيانه الخاص به، المميز له عما سواه.

المبدأ السادس: واضع علوم القرآن

لقد مر هذا العلم المدون «علوم القرآن» في وضعه بثلاث مراحل: الأولى: مرحلة ما قبل التدوين «الرواية»، الثانية: مرحلة التدوين، الثالثة: مرحلة الاستقلال.

المرحلة الأولى: ما قبل التدوين «مرحلة الرواية»:

كانت علوم القرآن في هذه المرحلة في أصلاب آبائها، حيث كانت محفوظة في أذهان الفضلاء غير مميزة باسم معين، ومن ذلك:

١. قول ابن مسعود ﷺ : «والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، ولو أعلم أن أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[1].

---

(١) سبق تخريجه في المبدأ الثالث، وهو في الصحيحين.

٢. قول عمر بن الخطاب ﷺ لليهود الذين قالوا له: إنكم تقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا، فقال: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت: يوم عرفة، وإنا والله يومئذ بعرفة، يوم الجمعة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...﴾ الآية[١].

٣. أورد الإمام أبو نعيم في «حلية الأولياء» أن الإمام الشافعي -رحمهما الله تعالى- اتُهم بأنه رئيس حزب العلويين باليمن، وسيق بسبب هذه التهمة إلى الرشيد مكبلاً بالحديد في بغداد...

فسأله الرشيد حين لمح علمه وفضله فقال: كيف علمت يا شافعي بكتاب الله -عز وجل- فإنه أولى الأشياء أن يبتدأ به؟

فقال الشافعي: عن أي كتاب من كتب الله تسألني يا أمير المؤمنين؟ فإن الله -تعالى- قد أنزل كتبًا كثيرة.

قال الرشيد: قد أحسنت، ولكن إنما سألت عن كتاب الله المنزل على ابن عمي محمد ﷺ .

فقال الشافعي: إن علوم القرآن كثيرة... فهل تسألني عن محكمه ومتشابهه، أو عن تقديمه وتأخيره، أو عن ناسخه ومنسوخه، أو عن ...، أو عن ...؟ وصار يسرد عليه من علوم القرآن، ويجيب على كل سؤال بما أدهش الرشيد والحاضرين[٢].

فهذه الآثار تشير إلى أن هذه المرحلة كانت علوم القرآن فيها -شأنها شأن كل العلوم تقريبًا- مستقرة في حوافظ النبلاء من الأمة، وإن لم تستقل بحدود معينة ولا باسم مميز، وكانت وسيلة تداولها وتعلمها هي الرواية يأخذها التلميذ عن شيخه ويرويها الجيل لعقبه حتى اهتم العلماء بتدوين العلم وتقييده بالكتابة، ولعل مما أدى إلى ذلك ضعف الحوافظ، وكثرة دخول العجم في الإسلام، وتطور الآلات والأدوات اللازمة للكتابة، وهذه هي المرحلة الثانية من مراحل وضع هذا العلم.

---

(١) رواه الشيخان وسبق تخريجه في المبدأ الثالث.

(٢) الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء (٩/ ٨٧)، ط/ خامسة، دار الريان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، وذكرها الزرقاني في مناهل العرفان (١/ ٣٣).

المرحلة الثانية: مرحلة التدوين:

أعني تلك الفترة التي نشطت فيها حركة تدوين العلوم، والتي وضعت فيها نطف علوم القرآن في أرحام علوم أخرى، حيث شملت حركة التدوين علوم القرآن إلا أنها دونت ضمن علوم أخرى كعلم الحديث، أو دونت بعض أفرادها كعلم التفسير، أو أسباب النزول، أو رسم القرآن الذي يرجع بنشأته إلى خلافة سيدنا عثمان بن عفان ﷺ حين أمر بنسخ المصاحف، وقال للنساخ: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم»[(١)].

«وبهذا العمل وضع سيدنا عثمان ﷺ الأساس لما نسميه علم: «رسم القرآن» أو «علم الرسم العثماني» ثم جاء عليّ ﷺ فلاحظ العجمة تحيف على اللغة العربية، وسمع ما أوجس منه خيفة على لسان العرب، فأمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع بعض قواعد لحماية القرآن من هذا العبث والخلل، وخط له الخطط، وشرع له المنهج، وبذلك يمكننا أن نعتبر أن عليًّا ﷺ قد وضع الأساس لما نسميه علم «النحو»، ويتبعه علم «إعراب القرآن» على الخلاف في هذه الرواية»[(٢)] اهـ.

ومن ذلك ما ألفه العلماء في خصوص مسألة من مسائل علوم القرآن كالتفسير مثلاً، فمن أوائل من كتب فيه مقاتل بن سليمان[(٣)] المتوفى سنة ١٥٠هـ، وشعبة بن الحجاج العتكي[(٤)] المتوفى سنة ١٦٠هـ، ووكيع بن الجراح[(٥)] المتوفى سنة ١٩٧هـ، ثم تبعهم الإمام محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ.

---

(١) صحيح البخاري، ك/ فضائل القرآن، ب/ جمع القرآن.

(٢) مناهل العرفان (١/ ٣٠).

(٣) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي، نزيل مرو. توفي سنة ١٥٠هـ.

(٤) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي -مولاهم-، أبو بسطام الواسطي، ثم البصري، ثقة حافظ متقن، كان الثوري يلقبه بأمير المؤمنين في الحديث، ت ١٦٠هـ.

(٥) وكيع بن الجراح بن مَليح الرُّؤاسي، أبو سفيان الكوفي، ثقة حافظ عابد، ت فيما بين ١٩٦، ١٩٧هـ.

وروي أن أول مَنْ كتب في الناسخ والمنسوخ قتادة بن دعامة السدوسي[1] المتوفى سنة ١١٨هـ، وله تفسير أيضًا، ثم تبعه أيضًا أبو عبيد القاسم بن سلام[2] المتوفى سنة ٢٢٤هـ.

وفي أسباب النزول تقدم الإمام علي بن المديني[3] شيخ الإمام البخاري والمتوفى سنة ٢٣٤هـ، ثم أردفه الإمام الواحدي النيسابوري[4] المتوفى سنة ٤٦٨هـ.

كما أن بعض أبحاث هذا العلم كانت موجودة في أرحام العلوم الأخرى، وذلك على سبيل المثال كوجود كتاب لفضائل القرآن، وآخر للتفسير في ثنايا كتب السنة، وهكذا بقيت هذه العلوم غير معروفة باسم مستقل حتى جاء مخاضها لميلاد «علوم القرآن»، على ضوء ما سترى -إن شاء الله تعالى- في المرحلة التالية.

المرحلة الثالثة: مرحلة الاستقلال

في هذه المرحلة خرج «علوم القرآن» إلى الوجود علمًا مستقلاً مميزًا عن غيره بهذا العنوان، وكان ذلك على يدي الإمام علي بن سعيد الحوفي[5] ت ٤٣٠هـ، حيث جمع أفراد هذا العلم في كتاب أسماه: «البرهان في علوم القرآن» وجاء هذا المؤلف في ثلاثين مجلدًا، يوجد منها الآن خمسة عشرة مجلدًا غير مرتبة ولا متعاقبة، مخطوطة بدار الكتب المصرية، تعرض فيه المؤلف للتفسير والإعراب والوقف والابتداء والقراءات والأحكام وغيرها[6].

---

(١) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت، يقال: ولد أكمه، ت ١١٨هـ.

(٢) القاسم بن سلَّام -بالتشديد- أبو عبيد البغدادي، إمام مشهور، وثقة فاضل مصنف، ت ٢٢٤هـ.

(٣) علي بن عبد الله بن جعفر أبو جعفر المديني، السعدي -مولاهم- ت ٢٣٤هـ، أعلم أهل عصره بالحديث.

(٤) علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، ت ٤٦٨هـ، انظر في هذا كله تقريب التهذيب لابن حجر.

(٥) هو أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي المصري النحوي، ت ٤٣٠هـ. كان إمامًا في العربية والنحو والأدب، وله تصانيف كثيرة. قال ابن خلكان: والحوفي: نسبة لناحية بمصر يقال لها: الشرقية، وقصبتها مدينة بلبيس، فجميع ريفها يسمى حوف ... وهو من قرية شبرا النخلة من أعمال الشرقية المذكورة. انظر: معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت الحموي، طبعة دار صادر، والبداية والنهائية لابن كثير (١٢/ ٥٠).

(٦) مناهل العرفان (١/ ٣٥)، راجع حسن المحاضرة (٢/ ٢٢٨)، وإنباه الرواة (٢/ ٢١٩).

وبهذا يعتبر الإمام الحوفي عند الكثيرين هو أول واضع لهذا العلم، لولا ما نبه عليه الدكتور/ صبحي الصالح، من أن الأسبق في هذا هو الإمام/ محمد بن خلف بن المرزبان ت ٣٠٩هـ حيث وضع كتابه في القرن الثالث الهجري، وسماه «الحاوي في علوم القرآن» ويقع في سبع وعشرين مجلدًا[١].

وفي القرن السادس: ألف الإمام ابن الجوزي[٢] ت ٥٩٧هـ -رحمه الله تعالى- كتابين هما: «فنون الأفنان في علوم القرآن» و«المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن».

وفي القرن السابع: ألف الإمام أبو شامة[٣] ت ٦٦٥هـ كتابه «المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز».

وفي القرن الثامن: وضع الإمام بدر الدين الزركشي[٤] ت ٧٩٤هـ كتابه «البرهان في علوم القرآن».

---

(١) مباحث في علوم القرآن، د/ صبحي الصالح (ص١٢٢، ١٢٤).

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي ... القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي الواعظ المفسر، يمتد نسبه إلى محمد بن أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- وعرف جدهم بالجوزي بجوزة -نوع من العنب يصفرّ إذا أينع- كانت في داره بواسط، لم يكن بواسط جوزة سواها. ولد أبو الفرج سنة ٥١٠هـ، وتوفي ٥٩٧هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي (٤/ ١٣٤٢)، ترجمة رقم (١٠٩٨)، ط/ دار إحياء التراث العربي، والبداية والنهاية للإمام ابن كثير (١٣/ ٣١)، ط/ ثالثة، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٣) أبو شامة هو: العلامة الإمام المجتهد شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان المقدسي ثم الدمشقي الشافعي المقرئ النحوي، ولد سنة ٥٩٩هـ، كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة، وبها كنيته. توفي سنة ٦٦٥هـ.

(٤) الزركشي: هو الإمام محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة ٧٤٥-٧٩٤هـ. راجع ترجمته كاملة في مقدمة كتابه البرهان في علوم القرآن، بتحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، (ص١١) مع الحاشية.

وفي القرآن التاسع سطع نجم الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي[1] ت ٩١١هـ -رحمه الله تعالى- حيث وضع كتابه «التحبير في علوم التفسير» جمع فيه اثنتين ومائة من أنواع هذا العلم، وقال: وقد تم هذا الكتاب ولله الحمد من سنة اثنتين وسبعين -يعني ٨٧٢هـ- ثم خطر لي بعد ذلك أن أؤلف كتابًا مبسوطًا، ومجموعًا مضبوطًا، أسلك فيه طريق الإحصاء، وأمشي فيه على منهاج الاستقصاء، فوضعت هذا الكتاب العلي الشأن الجليّ البرهان، الكثير الفوائد والإتقان، وسميته: «الإتقان في علوم القرآن»، وقد جعلته مقدمة للتفسير الكبير الذي شرعت فيه، وسميته «مجمع البحرين ومطلع البدرين الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية»[2].

ثم تابع اللاحقون السابقين فيما بدءوه، يتممون جهدهم تأليفًا وتحقيقًا وشرحًا وتوضيحًا، ومن أجل ما جاء بعد ذلك كتاب «النبأ العظيم عن القرآن الكريم، والطريقة المثلى في دراسته» للشيخ/ محمد عبد الله دراز، أحد رجال الأزهر الشريف، وكذا من بعده «مناهل العرفان في علوم القرآن» للشيخ الأزهري -أيضًا- محمد عبد العظيم الزرقاني.

ولم يقتصر التأليف والتصنيف في علوم القرآن على ما ذكر آنفًا، وإنما عاصر هذه المصنفات مصنفات، وتلاها كذلك مؤلفات أخرى، ولا يزال السيل جاريًا إلى الآن وإلى ما شاء الله تعالى، ففي أقسام التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر الشريف ونظائرها، يقف علماء القرآن شيوخًا وتلاميذ فرسان ميدان يجددون هذا العلم ويبسطونه، ويفسحون له في المكتبة الإسلامية مكانًا يليق بقدره وشرفه العظيم، ومؤشر ذلك تقدير الله ظهور مثل هذه الورقات المعرفة بهذا العلم وحدوده وأبعاده تحت عنوان «مبادئ علوم القرآن» عسى أن يكون لي سهم شرف بمواكبة علماء القرآن، ومتابعتهم في

---

(١) السيوطي هو الإمام الجليل الحافظ الجامع جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، ولد بالقاهرة سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م، له مؤلفات عديدة في مجالات شتى أغلبها في القرآن والحديث. وتوفي سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م عن إحدى وستين سنة تقريبًا. انظر: شذرات الذهب للعماد الحنبلي (٨/ ٥٢)، وغيره من كتب التراجم.

(٢) راجع مقدمة الإتقان للإمام السيوطي، ومناهل العرفان للزرقاني (١/ ٣٤-٣٩).

رياض التشرف بالقرآن العظيم.

المبدأ السابع: اسم هذا العلم

اصطلح العلماء مصطلح «علوم القرآن» ليكون اسمًا لهذا العلم جامعًا مسائله وفروعه مميزًا لها عن غيرها.

وهذا الاسم لم يكن له وجوده مستقل، أو مسمى معين قبل مرحلة استقلال علوم القرآن عن أرحامها، وإن كان موجودًا في علم العلماء، وأذهان النبلاء.

وسمي بهذا الاسم لأن مسائل هذا العلم حقيقةٌ بأن تكون علومًا، كل مسألة منها جديرة أن تكون علمًا مستقلاً، لا سيما وقد أفرد العلماء كثيرًا منها بتصانيف مفردة وبالذات علم التفسير، وعلم أسباب النزول، وعلم المناسبات، وغيرها.

وهذه العلوم المفردة تجتمع على بيان هدايات القرآن الكريم وإثبات إعجازه.

المبدأ الثامن: استمداد علوم القرآن

على ما سبق في مرحلة التدوين من مراحل وضع هذا العلم أن مسائله أفردت بالتدوين تدوينًا مفردًا مستقلاً، أو دونت ضمن علوم أخرى، فهذه الدراسات القرآنية الكثيرة تمثل لبنات هذا العلم، وتشكل الروافد التي تروي هذا العلم «علوم القرآن» بالمسائل والقضايا.

على حد ما قال الشيخ الزرقاني -رحمه الله تعالى- بعدما عد أنواعًا من علوم القرآن كغريب القرآن، ومفرداته، ومجازه، وامثاله، وغيرها. قال: «ولهذا اشرأبت أعناق العلماء أن يعتصروا من تلك العلوم علمًا جديدًا، يكون كالفهرس لها والدليل عليها والمتحدث عنها، فكان هذا العلم هو ما نسميه: «علوم القرآن» بالمعنى المدون»[1].

المبدأ التاسع: حكم تعلم هذا العلم

العلم وإن كان علمًا إلا أنه تجري عليه الأحكام الخمسة: الحرمة والوجوب والكراهة والاستحباب والجواز.

فالعلم الحرام كعلم السحر، وعلم الموسيقى، وعلم النحت لصور ذوي الأرواح ونحوها.

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٣٣).

والعلم المكروه هو الذي لا فائدة فيه والذي يقال فيه: علم لا ينفع وجهل لا يضر كمحاولة معرفة أوصاف كلب أصحاب الكهف، وأوصاف نملة سيدنا سليمان -عليه سلام الله تعالى- ونحو ذلك مما لا يترتب على فواته فوات منفعة.

والعلم الواجب كعلم الواجبات والفرائض والذي يتوصل به إلى أدائها.

والعلم المستحب كعلم النوافل وما وصل إلى تأديتها.

والعلم الجائز كعلوم الهندسة والعلوم الدنيوية النافعة بعامة والتي لا يتعارض نفعها مع شريعة الله.

ومما تقرر في ثمرات هذا العلم أنه يتزوج بعلوم القرآن للتمكن من غزو القلوب بدين رب العالمين، والدفاع عنه والذود عن حياضه ضد هجمات الطاعنين وشبهات المغرضين، وهذا واجب لا يعفى منه مسلم ولو بقدر.

وعلى ما قرره علماء الأصول من أن الوسائل تأخذ حكم المقاصد، يكون تعلم هذا العلم واجبًا أيضًا، ولكنه على وجه الكفاية، إذا قام به البعض أغنى وكفى عن الباقين، وإن لم يتعلمه أحد أثموا جميعهم.

وقال الإمام السيوطي -رحمه الله تعالى-: «وقد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات»[1] قلت: ولا يفصل بين التفسير وعلوم القرآن إلا العموم والخصوص، فهو واحد منها، وحكمها كحكمه، والله أعلم.

المبدأ العاشر: مسائل علوم القرآن

مسائل هذا العلم عديدة بلغ بها الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» سبعة وأربعين نوعًا، جعل أولها: معرفة سبب النزول، وثانيها: معرفة المناسبات بين الآيات ... والسابع والأربعين منها: معرفة الأدوات التي يحتاج إليها المفسر.

---

(١) الإتقان للسيوطي (٢/ ١١٩٥).

نبه على عظيم قدرها فقال: «واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره، ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله والرمز إلى بعض فصوله، فإن الصناعة طويلة، والعمر قصير، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير»[1].

ثم زاد عليه الإمام السيوطي فعدها مائة واثنين في كتابه «التحبير في علوم التفسير» ثم أدمجها في «الإتقان» في ثمانين نوعًا، بدأها بمعرفة المكي والمدني، وثنّى بمعرفة الحضري والسفري، ثم ختمها بطبقات المفسرين.

وقال في فضلها: «فهذه ثمانون نوعًا على سبيل الإدماج، ولو نُوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمائة، وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة وقفت على كثير منها»[2].

وفيما يلي نعرض لبعض هذه الأنواع بما يلقى عليها الضوء، لتتجلى في أفق المعرفة وسماء العلم، فتهدينا السبيل المستقيم إلى معرفة علوم القرآن.

النوع الأول: نزول القرآن:

ويتناول معنى النزول مضافًا إلى القرآن الذي هو كلام الله -تعالى-، ومتى كان، وكيف أنزل القرآن في ليلة القدر، وبيان المنازل التي نزل فيها القرآن وحكمة نزوله في كل منزل، ولماذا كان نزوله منجّمًا «مفرقًا» على قلب النبي ﷺ والمدة التي استغرقها نزول القرآن، وطريقة الوحي به، والأسباب التي تنزل عليها، وبيان أول ما نزل وآخر ما نزل، ونزول القرآن على سبعة أحرف للتيسير على الأمة، وما تكرر نزوله، وما نزل في الحضر أو السفر، وفي النهار أو الليل، والصيف أو الشتاء، والأرض أو السماء، وما نزل في الفراش أو النوم، وما نزل على لسان بعض الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- وما نزل من القرآن على بعض الأنبياء قبل ذلك وما ليس كذلك، والمكي والمدني من كل ذلك ... إلخ، وهذا النوع فيه تفصيل طويل مما جعل العلماء يقسمونه إلى أنواع.

---

(١) الإمام بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٢)، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، ط/ اولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار الفكر.

(٢) الإتقان (١/ ٢٠).

النوع الثاني: جمع القرآن:

وفيه بيان هل وكيف جمع القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ ؟ ولماذا وكيف جمع أبو بكر القرآن؟ وبيان نسخ سيدنا عثمان للمصاحف، وحرّق المصاحف الموجودة مع الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- وهل في ذلك ابتداع أو إجماع؟ وكم مصحفًا نسخ؟ وإلى أين بعث بها؟

النوع الثالث: رسم المصحف:

متى ظهر المصحف؟ وهل كان الرسم موحدًا في صحف الصحابة؟ ولماذا؟ وما هو مصطلح الرسم العثماني؟ وهل كل المصاحف العثمانية على رسم واحد أو أن بينها فروقًا؟ وهل تجوز كتابة القرآن بغير رسمه العثماني؟ وما مدى العلاقة بين الرسم العثماني وبين الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن؟ ثم أين المصاحف العثمانية الآن؟ وهل كانت بهذا الشكل في أول ظهورها؟ وهل هذا الرسم توقيفي أو اجتهادي؟

النوع الرابع: ترتيب القرآن الكريم:

ويبحث فيه ترتيب الآيات وترتيب السور هل هو توقيفي من الله -تعالى شأنه- أو أنه اجتهادي من النبي ﷺ أو من الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- أو ممن بعدهم؟ وهل جاء الترتيب المصحفي المعروف على ترتيب النزول أو على ترتيب آخر؟ وما هو مدى شرعية تنكيس القرآن الكريم؟ أي قراءته أو كتابته على عكس ترتيبه وما وجه الإعجاز في هذا الترتيب؟

النوع الخامس: قراءة القرآن «فن الأداء»:

وفيه نشأة علم القراءات، وطبقات الحفاظ المقرئين، وأعداد القراءات وضابط قبول القراءة، وبيان مخارج حروفه وصفاتها، وأحكام تلاوتها، وآداب تلاوة القرآن، وما يتصل بها.

النوع السادس: التفسير والمفسرون:

ويحتوي على أنواع عظيمة جليلة، وهو أوسع الأنواع وأعظمها وأشملها.

ويبحث فيه عن فضل التفسير والحاجة إليه، وأقسامه باعتبار أداته المفسِّر إلى: تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي، وباعتبار الكلام المفسَّر إلى: تفسير لا يعذر أحد بجهله، وثان تعرفه العرب بلغتها،

وثالث تفسير شرعي من النبي ﷺ ، ورابع استأثر الله بعلمه، وباعتبار منهجه إلى تفسير موضوعي وآخر تحليلي.

كما يبحث في هذا النوع عن نشأة التفسير، وعلاقة السنة بتفسير القرآن، وما هي الأدوات التي لا بد منها للمفسر المقبل على فهم القرآن الكريم واستنباط أحكامه؟ وما هي أهم وأنفع المصادر التي يؤخذ منها تفسير القرآن الكريم؟

كما ضبط هذا النوع طبقات المفسرين من الصحابة والتابعين -رضي الله تعالى عنهم- وممن بعدهم.

النوع الثامن: المحكم والمتشابه:

وفيه تقسيم القرآن إلى محكم ومتشابه، وضابط ذلك بين آراء العلماء، وهل من سبيل إلى علم تأويل المتشابه، وهل من حكمة في إيراد المتشابه في القرآن، وتنازع السلف والخلف في الآيات المتشابهة بين التفويض والتأويل، وأي ذلك أولى.

النوع التاسع: الإعجاز في القرآن الكريم:

ومما حرره العلماء في ذلك: وجوه الإعجاز القرآني، ومنها: لغته وأسلوبه، وطريقة تأليفه، وعلومه ومعارفه، ووفاؤه بحاجات البشر، وإشاراته الدقيقة إلى العلوم الكونية، وسياسته الرشيدة في الإصلاح، وإنباؤه بالغيب، واحتفاظه بآيات العتاب، وآيات المباهلة، وعجز الرسول ﷺ عن الإتيان ببدل له، وتأثيره في أعدائه وأوليائه.

كما حرر العلماء في هذا -أيضًا- القدر المعجز من القرآن، ومعجزات القرآن البالغة الخالدة، وتحدي القرآن لفصحاء العرب بمعارضة القرآن بإثبات عجزهم.

النوع العاشر: بلاغة القرآن:

وذلك أن القرآن في قمة البلاغة، وهو تاج الفصاحة، لذلك فإنك تجد العلماء استخرجوا منه أسلوب التقديم لما حقه التأخير، والتأخير لما حقه التقديم لنكتة بلاغية أو لحكمة شرعية تقتضي ذلك، كما استخرجوا من القرآن العام والخاص وكيف يحمل أحدهما على الآخر، وهل يخصِص القرآن السنّة، ويخصَّص بها أو لا؟ وفروع أخرى تتعلق بالتخصيص والتعميم.

بل جمعت علوم القرآن وجوه مخاطبات القرآن التي خاطب بها الناس على اختلاف مقاماتهم ومدركاتهم، كما وقت أعلام هذا العلم على حقيقة القرآن ومجازه، على تشبيهاته واستعاراته، على كناياته وتعريضاته، وعلى حصره واختصاصه، وعلى إيجازه وإطنابه، وعلى خبره وإنشائه.

كما استمتعوا وأمتعوا من وراءهم بتذوق ألوان بديع القرآن، مثل الجناس، والمشاكلة، والمبالغة، والمطابقة، والموازبة، والالتفات، والإبداع... إلخ.

النوع الحادي عشر: الفواتح والفواصل:

فواتح السور بالأحرف الهجائية المفردة، أو بنداء معين، أو استهلال خاص، وفواصل الآيات القرآنية، يعني خواتيم الآيات، والفاصلة: هي الحرف الأخير من الكلمة الأخيرة في الآية، بمنزلة القافية في الشعر، مثل فاصلة النون في سورة الفاتحة، وفاصلة الألف في سورة النساء والإسراء والفرقان، والدال في سورة الإخلاص.

النوع الثاني عشر: غريب القرآن:

ويتقرر تحت هذا النوع إن كان في القرآن ألفاظ غير عربية أم لا، إذ إن غرابتها من أثر أنها من غرائب اللغة العربية ودقائقها لندرة استعماله.

وهل لو كان في القرآن ألفاظ عربية غريبة، أو أعجمية مستعربة هل تخل بفصاحة القرآن وعربيته أو لا، وما سر إيراد مثل ذلك الغريب في قرآن عربي مبين ... إلى غير ذلك.

النوع الثالث عشر: إعراب القرآن:

وفي هذا النوع بيان أن الإعراب فرع المعنى، وما لا معنى له فلا محل له من الإعراب، وإعراب الآيات القرآنية له ضوابط معينة لا بد من لزومها، وماذا لو تعددت القراءة في كلمة، كيف تعرف؟ وما مدى حاجة المفسر للإعراب؟

النوع الرابع عشر: ترجمة القرآن:

وفيه: ما المقصود بالترجمة؟ وما الفرق بينها وبين التفسير؟ وماذا يشترط في الترجمة بعامة، والترجمة الحرفية بخاصة؟ وهل توجد ترجمة حرفية للقرآن أو لا؟ بل هل هي ممكنة عقلاً ووضعًا؟ وهل تفي لغة أخرى بما تؤديه اللغة العربية؟

النوع الخامس عشر: المناسبات:

وذلك في تدبر الترابط العجيب، والتناسق البديع بين كل آية وكل سورة وسابقتها ولاحقتها، مما يجعل القرآن وكأنه عقد نظيم، ما ترى فيه من تفاوت.

قال الإمام الزركشي: «واعلم أن المناسبة علم شريف، تحرَزُ به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ... والمناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها -والله أعلم- إلى معنى ما رابطٍ بينهما: عام أو خاص، عقلي أو حسّي أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني: كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول ... أو التلازم الخارجيّ، كالمرتب على ترتيب وجود الواقع في باب الخير.

وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوي بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء.

وقد قَلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»[1].

النوع السادس عشر: أسماء القرآن وأسماء سوره:

وفيه ذكر سبب تسمية ما جمع من القرآن مصحفًا، وهل يجوز إطلاق اسم التوراة أو الإنجيل على القرآن؟ وفيه تقسيم القرآن إلى أربعة أقسام: السبع الطوال، والمئين، والمثاني والمفصل.

وفيه حصر أسماء القرآن التي بلغ بها بعضهم خمسة وخمسين اسمًا[2]، وأسماء سوره التي ربما تعددت على سورة واحدة، أو أطلق الاسم الواحد على عدة سور، وهل هي في مجملها توقيفية، أو اجتهادية، وهل تعرب أو أنها لا محل لها من الإعراب؟

---

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي (١/ ٦١، ٦٢)، بتصرف، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ٨٨٥هـ (١/ ٦، ٧)، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

(٢) الإتقان للسيوطي (١/ ١٥٩).

النوع السابع عشر: العلوم المستنبطة من القرآن:

وفيه تصديق قول الله -تعالى-: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقوله: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [النحل: ٨٩].

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود ﷺ قال: «من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإنه فيه خبر الأولين والآخرين»، قال البيهقي: يعني أصول العلم.

وقال الإمام الشافعي ﷺ: جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن، وللإمام السيوطي في هذا الشأن بحث جيد في كتابه الإتقان[1].

النوع الثامن عشر: خواص القرآن:

وفيه تقرير أن للقرآن الكريم استعمالاً آخر بعيدًا عن مجال العبادات، وذلك كالاستشفاء به بقراءته في البيت أو على المرضى رقية لهم من مس الشيطان أو تسلط القرين.

ومثل هذا التقرير فيه جزء من الأحاديث النبوية وآثار عن الصحابة والتابعين ومَن بعدهم.

النوع التاسع عشر: أحكام القرآن:

وقد اعتنى بذلك الأئمة وأفردوه بالبحث والتصنيف كثيرًا، وأولهم الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- وتبعه على ذلك خلق كثير، وحصر بعض العلماء أحكام القرآن في خمسمائة آية، وتعقبهم بعض آخرون فقالوا: لعلم رادهم المصرح به، فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يُستنبط منها كثير من الأحكام.

ولذا قسموا الأحكام القرآنية إلى قسمين:

أحدهما: ما صرح به وهو كثير في سورة البقرة والنساء والمائدة والأنعام.

والآخر: ما يستنبط لعدم التصريح به.

مع ذكر ما يؤهل لاستنباط الأحكام من نصوص القرآن الكريم، والتنويه بأهمية هذا الأمر.

---

(١) الإتقان (٢/ ١٠٢٥).

النوع العشرون: وسائل القرآن إلى الإقناع:

يندرج تحت هذا الموضوع: الأمثال، والقسم، والجدل.

ذلك أن الإقناع إما بالتقريب والإبراز للمعقول في صورة المحسوس، وذلك هو المثل.

وإما بتوكيد الخبر، والطريق إلى ذلك هو القسم.

وإما بالحجة والبرهان، وهذا هو الجدل[1].

النوع الواحد والعشرون: لغة القرآن:

وفيه أن لغة القرآن لغة منتقاة ذات خصائص معينة وميزات مخصوصة منها:

١- الانتقاء.

٢- التناسب.

٣- المرونة والاتساع.

٤- الإبداع والدقة.

٥- الجِدَة والاختراع[2].

النوع الثاني والعشرون: رد الشبه والمطاعن عن القرآن:

وهذا النوع هو الدرع الواقي للقرآن ضد كل ما يوجه إلى القرآن من اتهامات تحفَّز لها صنعًا وقذفًا أعداءٌ تنبض قلوبهم حقدًا، ويسيل لعابهم قذى حنقًا على الإسلام والمسلمين، فيشبهون على ضعاف الإيمان إيمانهم، ويشككون قليلي الحظ من الدين في دينهم.

هذا النوع برجاله الأعلام يمثل خط الدفاع المنيع للذود عن حياض القرآن، وعن حِماه العظيم.

---

(١) الأصلان في علوم القرآن، أ.د/ محمد عبد المنعم القيعي -رحمه الله- (ص٣٤٤)، الطبعة الثالثة، دار الطباعة المحمدية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

(٢) راجع في ذلك بحوث في علوم القرآن الكريم، أ. د/ عبد الغفور محمود مصطفى، (ص٦٥)، الطبعة الأولى، بدار التوفيق النموذجية، ١٩٨٥م.

تنبيه:

إن مما يجدر التنبيه إليه، وعدم الغفلة والذهول عنه أن هذه الأنواع المذكورة ليست -في معظمها- أنواعًا مفردة، بل هي جوامع لما ينطوي تحتها ويندرج من أنواع أخرى كثيرة.

فهذا العدد جاء على سبيل التمثيل لا الحصر، كما جاء على وجه الإجمال والإدماج، أما إذا قصدت تفصيلها فهي تزيد على المائة كما عدها الإمام السيوطي في كتابه «التحبير في علم التفسير» وربما وصلت إلى الثلاثمائة، كما أشار إلى ذلك أيضًا في كتابه «الإتقان في علوم القرآن».

ولما عرفت من شرف هذه العلوم، وفضلها على سائر العلوم، ولما بعث في نفسك من الشوق والاشتهاء إلى ثمرات هذه العلوم، ولما تحصَّل لديك من كثرة هذه العلوم وتعدد مسائلها، وثرائها بحيث تصلح كل مسألة لتكون علمًا مستقلاً بنفسه.

أقول: من أجل ذلك كله، اشدد يدك بهذه العلوم القرآنية العظيمة، أو بمبادئها العشرة التي سقتها لك -على الأقل- وأقبل على خير الكتب، وأحسن الحديث، بأفضل العلوم وأشرفها على الإطلاق تحقق الطلب، وتبلغ الأرب.

وأسأل الله أن يبلغنا وإياك السبب

سبب رضاه ويصرفنا عن سبب الغضب

اللهم آمين

ثبت بمصادر البحث

١. القرآن الكريم.

٢. الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير.

٣. إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، طبعة الدار البيضاء.

٤. الأصلان في علوم القرآن، للأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم القيعي، ط/ الثالثة، بدار الطباعة المحمدية، القاهرة.

٥. إنباه الرواة على أنباه النحاة، للوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ دار الكتب المصرية.

٦. بحوث في علوم القرآن، للدكتور/ عبد الغفور محمود مصطفى، بدار التوفيق النموذجية.

٧. البداية والنهائية، للإمام أبي الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير، ط/ دار الكتب العلمية.

٨. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، ط/ دار الفكر.

٩. التعريفات، للسيد الشريف أبي الحسين الحسيني الجرجاني، ط/ مصطفى الحلبي.

١٠. تقريب التهذيب، للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، تقديم/ محمد عوّامة، ط/ دار الرشيد.

١١. الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ط/ الشعب.

١٢. حسن المحاضرة.

١٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام أبي نعيم الأصفهاني، طبعة دار الفكر، بيروت.

١٤. سنن الدارقطني، للإمام علي بن عمر الدارقطني، تحقيق/ السيد عبد الله يماني.

١٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام أبي الفلاح الحنبلي، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٦. الصحيح الجامع، للإمام أبي عبد الله البخاري، ت ٢٥٦هـ.
١٧. صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط/ الشعب.
١٨. صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن، تحقيق/ راشد عبد المنعم الرّجال، ط/ الأولى، للدار السلفية.
١٩. مباحث في علوم القرآن، للدكتور/ صبحي الصالح، ط/ التاسعة، دار العلم للملايين، بيروت.
٢٠. المفردات في غريب القرآن، للإمام الراغب الأصفهاني، ط/ الحلبي.
٢١. مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط/ فيصل الحلبي.
٢٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين البقاعي، الطبعة الأولى.
٢٣. الوجيز في أصول الفقه، للدكتور/ عبد الكريم زيدان، ط/ مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.

إلى غير ذلك من المراجع التي رجعت إليها أثناء البحث